كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الصعيد
بين الشاعرين
حفني ناصف ومحمد رجب البيومي

" دراسة تحليلية موازنة "

عداد

د/ محمد عمر أبوضيف محمد

أستاذ الأدب والنقد المساعد
في كلية اللغة العربية بجرجا

(العدد الرابع والثلاثون – الجزء الثالث ٢٠١٥م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين الهادي الأمين خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرّ المحجلين المصابيح التي نهتدي بها الى مسالك الخير والصلاح إلى يوم الدين .

وبعد ..

فإن الصعيد كان ومازال يمثل الخوف والرعب وشدة الحر والفقر المدقع بل هو العصر الحجري لكثير من الناس ممن لم يسكن فيه، ومن لم يعاشر أهلة يظن فيهم الغلظة والفظاظة وقسوة القلب وحدة اللسان وسوء الخلق !، وقد انطبعت هذه الصورة في الأدب المقروء والمشاهد والمسموع وقد أثرت هذه الصورة علي الناس فصارت عندهم من المسلمات... وصار الناس يرتعبون من الصعيد ومن شاء القدر أن يكون عيشه في الصعيد ممن ينقل إلي الصعيد فإنه يحزن ويركبه الهم والغم ويندب حظه العاثر وكنت أطالع بعض الكتب فوقعت علي قصيدة الأستاذ حفني ناصف والتي يمدح فيها الصعيد ممثلا في محافظة قنا وقعدت أطالع فيها وأقرأ عن حفني ناصف حتى رأيت قصيدة أخري تناقضها لأحد شعراء جامعة الأزهر – وما أكثرهم وأعظمهم – وهو الدكتور محمد رجب البيومي فعمدت لعمل هذه الدراسة وجاءت في: مقدمة ، وثلاثة مباحث.

المبحث الأول : الشاعران سيرة ورؤية ،وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حفني ناصف.

المطلب الثاني : محمد رجب البيومي.

المبحث الثاني : شرح القصيدتين بإيجاز.وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : شرح قصيدة حفني ناصف.

المطلب الثاني : شرح قصيدة محمد رجب البيومي.

المطلب الثالث: بين القصيدتين .

المبحث الثالث: أهمية القصيدتين.وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :إحياء فن النقائض.

المطلب الثاني : بيان أهمية المكان للأدب وللأديب.

المطلب الثالث: تأكيد علي أهمية البيان وأثره.

المطلب الرابع:قوة الشكل العمودي واستيعابه لكل المعاني والأغراض.

راجيًا أن يكون بحثا جيدا ،وأن يفتح بابا لاستقصاء مثل هذا الموضوع عند الأدباء، فإن كنت موفقا في العرض فالفضل لله والمنة !، وإن كانت الأخرى فمن قصر ذراعي وقلة اطلاعي، والله يجبر النقص، ويتجاوز عن الزلل ، ويغفر لي بحسن نيتي ... ولله الحمد أولا وأخرا .

المبحث الأول

الشاعران سيرة ورؤية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حفني ناصف .

المطلب الثاني : محمد رجب البيومي .

المطلـــب الأول

حفنـي ناصف

ولد حفني أو (محمد حفنى[1]) بن إسماعيل خليل بن ناصف ببركة الحج (المجاورة للمرج من ضواحي القاهرة فى ١٦سبتمبر ١٨٥٥ ثم اتجه إلى الأزهر فى مطالع شبابه حيث أقام به عشر سنين متتابعة جود خلالها القرآن وحفظ المتون وتعلم الفقه الحنفي والنحو والصرف وعلوم البلاغة .والعروض والقافية والمنطق والتوحيد والتفسير والحديث وحصل على إجازة برواية الحديث من الشيخ الأشمونى ولم يقف تحصيله عند ذلك فقد تعلم خارج الأزهر علم الميقات ومبادئ الفلسفة والإنشاء والشعر والأدب ، ثم انتظم فى دار العلوم عند إنشائها وقبل بين أربع عشر من مائة وخمسين تقدموا وكان أول المقبولين ، واشترك فى الثورة العرابية خطيبا وداعية واعتقل شهراً فى ثكنة عسكرية .

وتولى تعليم الخرس والعميان وكان له جهد كبير فى تحفيظ كبارهم الألفية.

وانتخب مع حمزة فتح الله وعبد الله فكرى ومحمود رشاد ممثلين لمصر فى مؤتمر للمستشرقين فى فيينا – وكانت رسالته من (مميزات لغات الغرب) فلما عاد توسع فى دراسته وأجرى أبحاثا للهجات المصرية العامية حتى عد أول (فيلولوجى[2]) للعامية المصرية واشترك أيضا فى مؤتمر المستشرقين فى أثينا وقدم رسالتين عن ماريه القبطية وهاجر كما اشترك فى ترجمة القوانين وصياغتها وفى مدرسة الحقوق كان معلما للإنشاء القضائي ، وقد تعلم على يديه: مصطفى كامل

(١) الأعلام قاموس تراجم ، خير الدين الزركلي ،٢/ ٢٦٥ ، دار العلم للملايين ،الطبعة : الخامسة عشر (٢٠٠٢م).

(٢) عالم بفقه اللغة .

وعبد الهادئ الجندي وأحمد شوقي ولطفي السيد وزكى أبو السعود وعبد الخالق ثروت وإسماعيل صدقي وعزيز خانكى وطلعت حرب وعبد العزيز فهمي وأحمد زكى باشا شيخ العروبة (أحد أعيان النهضة الأدبية في مصر،ومن رواد إحياء التراث العربي الإسلامي) وطه حسين.

وكلفته وزارة المعارف بوضع الكتب الأولى فى القواعد والنحو والصرف والبلاغة كما استعانت به مصلحة المساحة لتصحيح أسماء البلدان فى أطالسها.

وتولى مناصب متعددة ، عمل فى وظيفة النائب العمومي والقضاء الأهلي عشرين عاما واشترك فى إنشاء الجامعة١٩٠٨م وانتخب رئيسا لها لدى تكوينها وكان من أوائل أساتذتها كما اشترك فى تأسيس المجمع اللغوي الأول ونادي العلوم ، وأعاد كتابة مصحف عثمان ومما يذكر في هذا أنه في سنة ١٩١٤م أحالت وزارة المعارف المصرية إلى حفني ناصف تطبيق رسم المصحف الشريف الذي طبعته على رسم مصحف الإمام عثمان بن عفان، وعاونه في هذا العمل أحمد السكندري والشيخ مصطفى العناني.

وفي أثناء ذلك بلغ حفني ناصف الستين من عمره فأحيل إلى المعاش، مع بقاء مهمة طبع المصحف مسندة إليه وإلى زميليه، وقبل أن يحلّ ميعاد اعتزاله لوظيفته بعشرين يوماً كتب يقول:

برزتُ في سحرِ البيان وشابَ فيه مفرقي
فقضيتُ عمري والبلا غة سابقاً لم أُلحقِ
فاتَ الكثيرُ من الحياةِ وقلَّ منها ما بقي

من ظرفاء عصره :

كان حفني ناصف حاضر البادرة حلو النكتة مرض يوماً فطلب منه الطبيب الامتناع عن المطالعة ،ثم عاد بعد يومين فرآه يطالع فى كتاب روح الاجتماع فغضب الطبيب وقال لحفني:ألم أنهك عن المطالعة ! فابتسم حفني : وقال لا تغضب ،فقد كنت أطالع فى الروح (أطلع فى الروح). (١)

فقد كان من ظرفاء مصر فعندما ودعه رفاقه على محطة القاهرة كان يرتدى بذلة بيضاء فنبهه احد زملائه القضاة أن البرتوكول يقتضى أن يلبس القضاة على منصة الحكم بدلة سوداء! فقال له: لا عليك عندما أصل قنا ستكون تحولت الى سوداء.

وقال له قاض آخر:لا تغضب إن كنت قاضيا بقنا فالله بقنا قاض!! فرد عليه حفني:ليس الله بقنا القاضي ولكنه رئيس الدائرة!! وهذا من سرعة بديهة وتورية.

ويروي الشاعر محمد مصطفى حمام أن صديقه الشاعر البائس عبد الحميد الديب، قام بكتابة البيتين التاليين على ورقة، إلى حفني بك ناصف (المفتش الأول للغة العربية) فقدمها إليه ساعي مكتبه قائلاً له: إن صاحبها ينتظر بالباب:

جارت عليَّ الليالي في تصرفها وأغرقتني في لج من المحن
فيا عميد القوافي أنت معتصمي أقل عثاري وأنصفني من الزمن!

فما كان من حفني ناصف، إلاَّ أن سارع بنظم البيتين التاليين، رداً على الشاعر المستجدِي، علي نفس البحر والقافية :

يكاد شعرك يبكيني ويضحكني ولم أزل ساخراً من ظنك الحسن
فاقبل عطائي بلا شكر ولا غضب فليس والله في جيبي سوى شلن

---

(١) الشرق فى فجر اليقظة ، أنور الجندي ، ص.٣٣٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ت) .

وفاته :

من القصص العجيبة التي ترتبط بحفني ناصف أنه كان أحد العلماء والأدباء الستة، الذين وقفوا سنة ١٩٠٥ على قبر الإمام محمد عبدة يوم وفاته يرثونه حسب الترتيب: الشيخ أحمد أبو عطوة، حسن عاصم باشا، حسن عبد الرازق باشا الكبير، قاسم بك أمين، حفني ناصف، حافظ إبراهيم. وقد اتفق أن مات الأربعة الأولون بهذا الترتيب ولاحظ حفني ناصف ذلك يوماً، وكان حافظ إبراهيم قد مرض وخاف على نفسه من الموت، فبعث إليه حفني يطمئنه بهذه الأبيات:

أتذكرُ إذ كُنَّا على القبرِ ستةً ... نعدِّدُ آثارَ الإمامِ وننـدُبُ
وقفنا بترتيبٍ وقد دبَّ بيننا ... مَماتٌ على وفْقِ الرثاء مُرَتَّبُ
أبو خطوةٌ ولَّى، وقَفَّاه عاصمٌ ... وجاء لعبدِ الرازق الموتُ يطلبُ
فلبّى وغابت بعده شَمْسُ قاسمٍ ... وعمّا قليلٍ نَجْم مَحْياي يغرب
فلا تخشَ هلكاً ما حييت وإن أمت ... فما أنت إلا خائف تترقَّبُ
فخاطر، وقَعْ تحت القطار ولا تخف ... ونَمْ تحت بيتِ الوقْفِ وهو مُخَرَّبُ
وخُضْ لُجَج الهيجاءِ أعزلَ آمناً ... فإن المنايا عنك تنأى وتَهربُ

وفي سنة ١٩١٨ أصيب حفني ناصف بشلل جزئي فزاد تشاؤمه، وعزَّ رجاؤه في حياة قضاها في جهاد وعناء، ثم شفي وعاد إلى مراجعة المصحف الشريف الذي تطبعه وزارة المعارف، ولكنه يفجع بوفاة ابنته مَلَك (باحثة البادية) في أول أكتوبر سنة ١٩١٨، وحضر حفلَ تأبينها في الجامعة المصرية محمولاً لفرط ما أصابه من ضعفٍ وهمٍّ ومرض، حتى إذا وقف حافظ يرثيها قال:

وتركتِ شيخَكِ لا يَعِي ... هل غابَ زيدٌ أو حَضَر
ثَمِلاً تُرَنِّحُه الهمُو ... مُ إذا تَمايلَ أو خَطَر

كـــــالفَرْعِ هزَّتـــــهُ العواصـــــ ـــــفْ فـــــالتوى ثـــــم انْكَسَـــــر

وعندما أنشد حافظ ذلك بكى حفني بك، وحملوه وهو يبكي، ثم فقد رشده بضعة أيام حتى لحق بابنته في يوم الثلاثاء ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٣٧ هـ، الموافق ٢٥ فبراير ١٩١٩م وكأنهما كانا على ميعاد، بعد أن ترك تراثاً أدبياً خالداً.

أدبه :

لم يكن الشعر كل عمل حفني ناصف وإن اشتهر به ، فأن مجاله الحق كان فى خدمة اللغة العربية ، وله نشاط ثقافي ضخم فى ميادين كثيرة ، غير أنه كان يقول الشعر حين تجيش به النفس ، أو تدعو إليه المناسبة فلم يكن كل همه موجه إليه ، شأنه فى إسماعيل صبري .

ويروي نجله مجد الدين أن الأزهريين كانوا يستكثرون عليه نظمه القصائد الجياد، التي كان يلقيها في بعض أروقة الأزهر في المناسبات العامة والحفلات الأدبية، فاقترح أشعرهم في ذلك الوقت، وهو الشيخ عبد الرحمن قراعة، أن يساجله حفني ناصف في شعر ينظم على البديهة ارتجالاً، حدد هو موضوعه، واختار بحره وقافيته. فساجله حفني على مشهد من الطلاب، حتى صنعا معاً أكثر من مئة بيت في أقل من ساعة! ومنذ ذلك الحين؛ سلم الجميع بشاعريته، وطفق شداة الأدب والشعر بالأزهر يلتفون من حوله، ويعرضون عليه قصائدهم، للاسترشاد بنقده وتوجيهاته .

وقد وصف شعره بأنه وافر الديباجة مع العناية بالمعاني المستحدثة ، وقيل إن نظم شعره كان يشبه الارتجال ، ويرى العقاد أن ناصف لم يكن شاعرا ولا صاحب طبيعة شعرية[١] ويقول: "فإذا رجعنا إلى قصائد حفني ناصف لم نجد بيتا يدل على

(١) ينظر: شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، عباس العقاد،ص:٢٢ ، ط. نهضة مصر ١٩٦٣م.

سليقة مفطورة على استيعاب المحسوسات أو نكته تخرج عن مفارقات الألفاظ واللعب بالأوضاع والأشكال[١]" ويرى إن نظم حفني نمط وحده في تاريخ جيله فلو جاز أن يكون إنسان شاعرا بمزايا النظم وحده لكان حفني ناصف بما رزق من سهولة وصنعة مصقولة وفكاهة خفيفة تعوض ما فاته من الخوالج والنزعات النفسية[٢].

ويقول مجد الدين حفني ناصف أنه – يقصد والده– هو (أبو الطبقة التي نشأت بعد طبقة البارودي وعبد الله فكرى ، وكل من نبغ بعد ممن انتهت إليه الرئاسة فى الشعر فعلية تعلم أوله قلد ، حتى أصبح شعراء هذا الزمان .

وقد بلغ من تقدير فحول شعراء له إن حافظ وشوقي كثيرا ما عرضا عليه شعرهما ويلاحظ إنه فى شعره ما كان ينظم أبياتا تصلح غير ما قيلت له إذ كان يعين كل موضوع بخصائصه ، وكان يمتاز بالطابع المحلى.[٣]

عاصر حفني ناصف البارودي وتأثر به،وشعر حفني ناصف يمثل عصره المتطلع إلى النهوض كما يمثل طبائع المصريين وطبيعتهم، إذ يذكّرنا شعره بروح البهاء زهير في رشاقة العبارة والميل إلى الدعابة.ويكثر في شعره المحسنات البديعية ، وبخاصة الجناس والتورية والتضمين. يقول في قصيدته (مات الإمام) في رثاء الإمام محمد عبده :

لم لا تُجيبُ وقد دعوتُ مِرارا! يكفي سكوتُكَ أربعين نهارا

كثرَ التخبّطُ والحقائق حُجّبتْ عنّا وأمسى المسلمون حيارى

يتساءلون وقد عرتْهم سكرةٌ عمّا عراكَ وما هُمُ بسكارى

(١) نفس المصدر ص :٢٤ .

(٢) نفس المصدر ص :٢٧ (بتصرف) .

(٣) مقدمة ديوان حفني ناصف .

ويقول في قصيدته (فجيعة الشعراء) في رثاء الشاعر محمود سامي البارودي:

حقٌّ على شعراء مصرَ رِثاكا وعلى المعاني الساميات بُكاكا
شعراءُ مصرَ، وكلُّهم في فتنةٍ بكلامهم، لم يُذعنوا لسواكا
كلٌّ إذا ذُكر القريضُ قُصاره أن ينضوي في الشعر تحت لِواكا

والواقع أن حفني ناصف كان له أثره الواضح فى التطور الأدبي فى نقل الكتابة من الطريقة البديعية المسجوعة الكثيرة التورية إلى طريقة الترسل الحالية وأنه عمل على تنقية اللغة العربية من الألفاظ العامية والدخيلة وسعى لوضع مصطلحات صحيحة للعلوم التي كانت تدرس الانجليزية وتقرر تدريسها بالعربية[١] وإن كان هذا العمل بعيد الأثر فى تطور الشعر والنثر جميعا ،وقد ظهر ديوان حفني ناصف عام ١٩٥٧ بعد أربعين عاما من وفاته(٢٥فبراير ١٩١٩) يضم فنون شعره الاجتماعات والوطنيات وشعر الرثاء والغزل والتهنئة والشكر والمديح والمناسبات والمراسلات والتقاريظ والبديعات وسوانح السفر.[٢]

(١) مقدمة ديوان حفني ناصف .

(٢) الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه (١٨٧٥-١٩٤٠) أنور الجندي ، ص٥٣، مطبعة الرسالة (د.ت) .

أهم مؤلفاته:

- تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية
- مميزات لغات العرب
- رسالة في "المقابلة بين لهجات بعض سكان القطر المصري
- الدروس النحوية.
- تعريب أسماء المستحدثات الحضارية.
- عدة رسائل في المنطق والبحث والمناظرة وعلم الأصول والتوحيد.
- نشرت له قصيدتان في (الوقائع): الأولى مطلعها: بشراك يا روضة العرفان بشراك - العدد ٨٧٢ - ١٨٨٠/٤/١٥، والثانية مطلعها: يا مصر لاح لك الفلاح فأبشري - العدد ١٠٧٠ - ١٨٨١/٣/٢٤
- له ديوان شعر بعنوان (شعر حفني ناصف) جمعه وأرخ لصاحبه ولده مجد الدين حفني ناصف، وقدم له طه حسين صدر عن دار المعارف بمصر (ط ١) ١٩٥٧.

المطلب الثاني

محمد رجب البيومي

كانت قرية الكفر الجديد التابعة لمركز المنزلة محافظة الدقهلية مسرحاً لهذه الطفولة النابهة .. حيث ولد محمد رجب البيومي في أكتوبر عام ١٩٢٣م .. ورغم قسوة هذه البيئة وفقرها .. فقد نشأ البيومي شفوقا حييا .. جميل الخلقة والخلق .. يقول عن نفسه:" فأنا إنسان أشفق من قتل البرغوث.. وسحق الصرصور.. ويسوؤني أن أجد خادماً تتألم في منزلي[١]" وظهرت آثار هذه المعاني الإنسانية الراقية وهذه المشاعر الرقراقة الصافية.. حين فقد زوجته التي أنجبت له سبعاً من البنات وولداً وحيداً .

نال عالمية الأزهر ١٩٤٩، ودبلوم معهد التربية ١٩٥٠، والماجستير ١٩٦٥، والدكتوراة في الأدب والنقد ١٩٦٧، عمل مدرساً بالمدارس الثانوية بالإسكندرية عام١٩٤٨ثم بالفيوم ، ثم انتقل إلى كلية اللغة العربية مدرساً، فأستاذاً مساعداً، فأستاذاً، فرئيساً لقسم الأدب والنقد، فعميداً للكلية، فأستاذاً متفرغاً وأعير إلى السعودية وكون صداقه قويه بصاحب مجله المنهل وأثناء الإعارة فقد زوجته وألف ديوان حصاد الدمع ثم بعد العودة عين عميدا لكلية اللغة العربية بالمنصورة لمده عشر سنوات . وظل رحمه الله يكتب منذ الخمسينات بمجله الأزهر والهلال والأديب اللبنانية وجريده صوت الأزهر حتى توفي .

كان الرجل عف اللسان ، طيب القلب ، شديد الإخلاص ، وكان مثالا للأديب المفكر والباحث الدؤوب الذي لا يعرف الكلل ولا الملل فكنت تقرأ له في الشهر الواحد عشرات المقالات الأدبية والثقافية والدينية ينشرها في العديد من الصحف

(١) من مقال له بعنوان أثر المرأة في حياتي ٢/٢

http://www.lahaonline.com/articles/view/2338.htm

والمجلات في عالمنا العربي الكبير يقول الدكتور علي صبح :" ولا تخلو مشاركة أدبية ونقدية من حضور شاعرنا الناقد الأديب فقد سعدت به الندوات والمؤتمرات في العالم العربي الإسلامي والأوروبي في مصر والسعودية والكويت وتونس والمغرب وباريس والجزائر ،وغيرها.[1]

وفاته

عاش رحمه الله حتى هرم وأصابته متاعب الشيخوخة حيث بلغ عمره تسعين عامًا هجرية أو ثمانية وثمانين عامًا ميلادية وقد قال رحمه الله عن ذلك وهو يكتب دراسة عن شيخه محب الدين الخطيب فقال:" الحمد لله على كل حال، وإليه المرجع والمآل أُملي هذه السطور وأنا أرزح تحت سطوة كبر السِّنّ وتقادم العمر.

من عاش أخلقت الأيام جِدّته وخانه ثقتاه السمع والبصر

توفي رحمه الله السبت الثاني من ربيع الأول ١٤٣٢هـ الموافق الخامس من فبراير ٢٠١١م .

أدبه:

تدفقت موهبته الشعر في مرحلة مبكرة من حياته ، فنظم الشعر وهو طالب بكلية اللغة العربية ولم يكمل العشرين من عمره وكان شعره في هذه المرحلة يسير فيه علي معارضة نوابغ الشعر العربي كابن زيدون والمتنبي ،

(١) شعراء كلية اللغة العربية واتجاهاتهم الأدبية ، أ د . علي علي صبح ، ص :٥٧٧ ، كلية اللغة العربية بالقاهرة وثمانون عامًا في خدمة اللغة العربية وحمايتها ، الندوة العلمية الأولى بمناسبة اليوم العالمي للاحتفال باللغة العربية الثلاثاء ١٨ / ١٢ / ٢٠١٢م

وغيرهما في قصائده[1] . وقد ترك الشباب بصماته على أشعاره التي نجد فيها . بجانب التصوير الشعري الحماسة في تدفق المعاني وقوتها حتى تشعر أن انطباع المرحلة العمرية ترك أثره في التفكير واختيار الألفاظ والصور والموضوعات ثم بعد بلوغه سن الأربعين ، يظهر واضحا النضج الفكري والعلمي في الألفاظ والتصوير واختيار الموضوعات التي تأتى نتيجة للأحداث التي يمر بها في حياته

وفي أعماله القصصية والمسرحية تجده يتجه إلى تقديم قيم تربوية وأخلاقية مبتعدا عن الإسفاف الأدبي الذي يظهر في كثير من الأعمال القصصية التي تركز على المرأة ومغرياتها وتصويرها بصور مغرية مزرية حتى لا تكاد تقرأ عملا أدبيا دون تصوير المرأة بصورة مبتذلة يحفز شهوات الشباب و أرباب الهوى ويجرح مشاعر القارئ والمشاهد الذي يحترم نفسه ويريد القيم...

---

(١) من مثل قوله :

ما زلتِ والهة ثكلى تنوحينا ... يا جارة الحي ما يبكيك يبكينا

علت نواحيك آهات مروعة ... مثل التي أصبحت تعلو نواحينا

وناح طيرك مرتاعًا فقلت له ... لقد تعلمت من أطيار وادينا

وقوله :

دع التشدق يا مجنون بالخطب ... فالحكم للسيف ليس الحكم للأدب

إن الحسام إذا أعيتك ضائقة ... يلقي مواعظه في منطق عجب

كم في براهينه من آية كشفت ... عن العقول ظلام الشك والريب

وقوله :

دعوا الصحافة حيرى في مآسيها ... كفى الصحافة داء بعض أهليها

كانت تسير مكان النجم عالية ... حتى حسبناه في شوق يناجيها

ما بالها اليوم تحت الأرض هامدة ... أهل سقاها بكأس الموت ساقيها؟!

وهو يجنح إلى تقديم أعمال أدبية قصصية ومسرحية تفيد المجتمع إضافة إلى المتعة الفنية التي يعيش معها القارئ والمشاهد ، وهو ينطلق في ذلك من فكره الإسلامي الذي استمده من الأزهر الشريف ، الذي تعلم فيه صغيرا وشابا ، وصار فيه معلما في رجولته وكهولته وشيخوخته .

وقد تنوع عطاؤه العلمي والأدبي بين البلاغة القرآنية والنبوية إلى التأريخ الأدبي في العصور المختلفة ، إضافة إلى مئات المقالات الأدبية والإبداع الشعري في المجلات المختلفة والفن القصصي والمسرحي والبحث الأدبي والبلاغي ، وقد انفرد في المجالات السابقة بأعمال تميزت بالتجديد والأصالة مما كان له الأثر في تهافت المحافل الأدبية والعلمية علي دعوته و في حصد الجوائز المختلفة ...

وتجد عند مطالعتك لمؤلفات البيومي نواحي من التمييز البناء الذي يضيف لبنة جديدة في صرح العلم دون تكرار ممل أو جمع مخل ، وتجدك وأنت تقرأ كتبه كأنه يجالسك ويحادثه ويتحاور معك ، لا تشعر أبدا أنك تقرأ كتابا ماديا بل تعيش لحظات سعيدة من المتعة الأدبية حتى تشعر بأنك أسير كتابه الذي يجعلك تشاهد الأدباء وتشاركهم عواطفهم وتنفعل معهم بأحاسيسك ووجدانك ، ولعل ذلك هو السر في محبة الناس والباحثين له وأوسمة التكريم التي نالها عن أعماله بخلاف كثير من المؤلفين الذين يكتبون في تخصصاتهم ،لكن عندما تطالع كتبهم تجد نواحي التجديد والابتكار قليلة ، وهو يمتاز بسمات فنية عديدة من بينها جودة عرض المادة العلمية وعمق الفكرة وجدة الموضوعات والإبداع والتميز في تناول المشكلات وحلولها[1] ويمتاز أيضا بالدقة في الاستدلال والمهارة في الاستنباط والبراعة في التحليل والأسلوب الجذاب الشائق .

(١) تري هذا جليا ويعد الشاهد الأكبر عليه افتتاحيات مجلة الأزهر الرائدة التي اشتغل فترة رئيسا لها.

وقد صار – بحق– إماماً من أئمة اللغة العربية .. أفنى حياته مدافعاً عن حياضها.. فهي ركيزة الإسلام الكبرى.. ولغة آخر كتاب يربط الأرض بالسماء ومثالاً للتدفق الإبداعي الهادئ الرقراق .. مقدماً نموذجاً إنسانياً نبيلاً للمثقف الملتزم بمعناه الأشمل.

كان متميزا بموسوعية العالم، وموضوعية الباحث ، وعمق المحلل، مع رشاقة الأسلوب ، وجمال البيان ، وحرارة العاطفة .

أهم المؤلفات :

تنوع العطاء العلمي والأدبي للبيومي :

–البيان القرآني.. أصدره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.– خطوات التفسير البياني.. أصدره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.– البيان النبوي.. أصدرته دار الوفاء للنشر.– أدب السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين.أصدرته اللجنة العليا للدفاع عن الإسلام بالأزهر.– الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير.. أصدره المجلس العلمي لجامعة الإمام محمد بن مسعود بالرياض.– النقد الأدبي للشعر الجاهلي.. أصدره المجلس العلمي لجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض . – أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد.. أصدرته دار الأصالة بالرياض.– دراسات أدبية.. أصدرته دار السعادة بمصر.– نظرات أدبية (٤ أجزاء).. أصدرته دار زهران بمصر.– حديث القلم.. أصدره النادي الأدبي بجدة.– قطرات المداد.. أصدره النادي الأدبي بجدة.– التفسير القرآني.. أصدرته المؤسسة العربية الحديثة.– لأزهر بين السياسة وحرية الفكر.. دار الهلال– مواقف خالدة لعلماء الإسلام.. دار الهلال.– النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين (٥ أجزاء).. دار القلم في دمشق.. والدار الشامية في بيروت.–ابن حنبل.. عن مجمع البحوث بالأزهر.– مع الأبطال.. دار القلم بيروت.– صفحات هادفة من التاريخ الإسلامي.. المؤسسة

العربية الحديثة.- من القصص الإسلامي (جزءان).. المؤسسة العربية الحديثة.- في ميزان الإسلام (جزءان).من منطلق إسلامي (جزءان).مجالس العلم في حرم المسجد.- المثل الإسلامية.- في ظلال السيرة.- من شرفات التاريخ.- قضايا إسلامية (جزءان).. دار الوفاء بالمنصورة -ديوان صدى الأيام (شعر).. مطبعة السعادة -.ديوان حنين الليالي (شعر).. مطبعة السعادة -.حصاد الدمع (شعر).. دار الأصالة بالرياض- من نبع القرآن (شعر) دار الأصالة بالرياض- فاتنة الخورنق (قصة أدبية) دار الأصالة بالرياض- مسرحية (انتصار)،مسرحية (فوق الأبوة) في كتاب واحد مطبعة السعادة - ملك غسان (مسرحية شعرية) مكتب الجامعات للنشر.- في قصور الأمويين (مشاهدة تاريخية)مطبعة السعادة.

وقصص أطفال صدرت عن دار الأصالة ودار القاسم بالرياض:

- المغامر الشجاع- المهمة العالية- مؤامرة فاشلة- الفارس الوفي- يوم المجد- دجال القرية- الحبل الأسود- الفتاة المثالية-إلى الأندلس- رحلة الخير- الله معي- بطل شيبان- إلى الإسلام- لست وحدي-حكمة الله-الأصل الطيب... (وغيرها).

بالإضافة إلي كتابته في المجلات الأدبية : الرسالة ، الثقافة الكتاب،الهلال،الأديب،الفيصل ،الأزهر،المجلة العربية، الأقلام، منار الإسلام،الحج،الضياء، المنهل، رابطة العالم الإسلامي، علامات ،الأدب الإسلامي... وغيرها.

التكريم والجوائز :

- نال جائزة شوقي بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بمصر سنة ١٩٦١م.. عن المسرحية الشعرية انتصار."- نال جائزة مجمع اللغة العربية الأولى عن المسرحية الشعرية" فوق الأبوة "سنة ١٩٦٢م.- نال جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٣م.. عن ديوانه الشعري" صدى الأيام."-نال جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأولى سنة ١٩٦٤م في الدراسات الأدبية عن كتاب" الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير."- نال جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م، في التراجم الأدبية عن حياة" محمد توفيق البكري."- نال جائزة مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٢م، عن المسرحية الشعرية " بأي ذنب."- نال جائزة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٨م.. عن المسرحية الشعرية" ملك غسان."

المبحث الثاني

شرح القصيدتين بإيجاز

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : شرح قصيدة حفني ناصف.

المطلب الثاني : شرح قصيدة محمد رجب البيومي.

المطلب الثالث: بين القصيدتين .

المطلب الأول

شرح قصيدة حفني ناصف

كان النقل الى الصعيد عقوبة المغضوب عليهم من الموظفين ،وحكما قاسيا لمن يعملون في الجهاز الحكومي؛ باعتبار الصعيد منفي وسجن؛ لأنه منطقة نائية مهملة ؛معدومة الخدمات ،ولا تتوفر فيها أبسط الحاجات الإنسانية، سيما من عاش في (بحري) ،ونعم بالسكني في القاهرة ،عاصمة الألف مئذنة وأم المجالس الأدبية والمحافل العلمية ،والتي تمتلئ بالسادة والقادة ،الذين يوفرون لأجلهم كل الوسائل التي تيسر الحياة وتسهلها ،لكن الشاعر الأديب والقاضي الأريب الفاضل حفني ناصف يعد أول موظف عمومي كبير من الأدباء الذين ينقلون إلي الصعيد فلا يتسخطون ولا يتذمرون فهو لم يتمرد على نقله للصعيد (محافظة قنا) واعتبرها ترقية وبالرغم من أن وزير الحقانية(العدل) نقله بناء على طلب اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني انتقاما من موقف حفني ناصف الذي استفزه وهو تشجيعه لمشروع إنشاء الجامعة المصرية عام ١٩٠٨م وما أبداه شاعرنا من حماس تمثل في تبرعه بالمال والتدريس في الجامعة الوليدة التي كانت أمل شعب مصر في إعداد جيل من قادة التحرير والتنوير.

وذهب حفني ناصف الى قنا أبيا رافع الرأس شامخا :

إذا افتقـــرت فـــلا تكـــن متخشـــــعا وتجمـــــل

لم يكترث بالقرار واعتبره ترقية فأرسل الى وزير الحقانية قصيدته الخالدة وفيها حول حفني ناصف مساوئ قنا الى محاسن ومفاتن !!؛ ففي قنا علا مكانه وعظمت مكانته وجوها الحار صحي واستغنى فيها عن أشياء كثيرة اعتبرها مغانم

وكسر حفني ناصف بقصيدته الخوف من النقل الى قنا وحبب الموظفين فى العمل بها وفى القرى عموما واعتبر أن سكنى المدن هو العقاب. (١)

لقد أراد وزير الحقانية التنكيل بحفني ناصف ،ولكن حفني ناصف بقصيدته هذه نكل بوزير الحقانية واللورد كرومر وأعاد الاعتبار للصعيد عامة ولقنا خاصة بتلك القصيدة التى يعد مطلعها قمة فى السخرية ويعتبر من أجمل ما كتب حفني ناصف:

رقيتنـــــي حســـــا ومعنـــــى فلصـــــنعك الشـــــكر المثنـــــى

فقد رقّاه وزير الحقانية وصعد به إلي الذروة وأوج المجد المادي المتمثل في الوظيفة الراقية (قاضي بالمحكمة الأهلية) والمعنوية حيث صار من أكابر القوم وسادتهم في قنا ؛ لأن الناس عامة وأهل الصعيد خاصة يجلون القضاء ويقدرون القضاة ،ومن ناحية ثالثة فإنه استراح لهذه النقلة نفسيا بعد راحة بدنه واستقرار صحته في هذا الجو الصحي الهادئ ، وهذا الصنيع يستحق الثناء والشكر بهذه القصيدة ويلاحظ هنا قمة السخرية !! حيث قدم الشكر لهذا الصنيع ولم يقدمه لمن صنعه وهو وزير الحقانية لأنه:

أولا : لا يستحق الشكر لما هو عليه من مولاة للأجانب وإتباع لأوامر اللورد كرومر.

ثانيا : لم يكن يريد الخير بهذا الصنيع ولم يتوقع منه الخير لحفني ناصف.

لذا كان حفني ناصف دقيقا في القول (فلصنعك) الشكر ولم يقل فلأجلك أو لفضلك...

(١) حفني ناصف: بطولة في مختلف الميادين ، محمود غنيم،ص :٥٣ ، ط.المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.

وزيادة في السخرية وإمعانا في التوبيخ فقد قدم (الشكر المثني) فالامتنان مزدوج وليس مفردا ولا شكرا واحدا وهذا قمة السخرية !!

ثم يستطرد في قصيدته المكونة من أربعين بيتا من (مجزوء الكامل) فيقول:

وجعلـــــت رأس الحاقـــــدين بمصـــر مـــن قـــدمي أدنـــى
وجعلـــت ســـدة منزلـــي مـــن أســـقف الهـــرمين أســـني
أســـــكنتني فـــــى بقعـــــة فيهـــا غـــدوت اعـــز شـــانا

ثم يعدد مزايا هذا النقل الذي شعر بها حفني ناصف وهي علي ترتيب الأبيات:

أنه جعل رأس الحاقدين ويقصد به اللورد كرومر أذل من الحذاء، وأقرب إلي القدمين – وليس إلي الرأس– وهذا من دلائل المهانة وعلامات الصغار!!.

وأنه جعل أدني مكان في منزل ناصف أرفع من أعلي بناء في مصر في هذا الزمن وهو الأهرامات!! وهذا من دلائل الشرف والرفعة والعلو!! وتفصيل لما يشعر به حفني ناصف من رقي وشرف وسموق!!.

وأنه صير حفني ناصف أعلي قدرا وأسمي مكانة (وأعز شانا)!! في هذه البقعة وهي قنا.

ثم يعدد مزايا المكان الذي نقل إليه ،ويعتبر نقائصه أفضالا ،كأن حفني ناصف يمارس عملية نفسية وهى اعتبار المرفوض مقبولا ،والمفروض مختارا ، عملية يسميها أهل الاختصاص فى علم النفس بعملية التوحد بالمعتدى، كحل يحفظ للذات اتزانها فى مواجهة عدوان كاد أن يدمرها يقول:

فيبين أن من مزايا السكني في قنا :

أرد المشـــــــارع ســـــــابقًا والســـبق عنـــد الـــورد أهنـــا

أنك ترد المشارع –وهو جمع مَشْرَعَةُ وهي شريعة الماءِ – سابقا ويقصد أن نهر النيل منبع الحياة للمصرين وسببها، يأتي من الجنوب، فأهل قنا يشربون من مائه قبل أهل القاهرة ، مما يعطيهم ميزة السبق في الورد وهو الشرب، وهو من المزايا ،فالسبق أهني وأصفي من الكدر

وأزور آثـــــــار الملـــــــو ك وكنـــت قبـــلُ بهـــا معنًّـــى

ثم يبين ميزة أخري ،وهي زيارة المعابد الأثرية التي تمتلئ بها محافظة قنا لملوك الفراعنة وحضارة مصر القديمة وآثار العالم ، حيث يوجد بمدينة الأقصر التابعة لمحافظة قنا–أيام حفني ناصف– ثلث آثار العالم ، وهذه الآثار كانت رغبة يريد تحقيق رؤيتها والتمتع بها حفني ناصف قبل نقله، فها هو يزورها بل ويعيش قريبا منها بفضل هذا العمل الجديد الذي نقل إليه !!.

ثم يأتي بميزة كان الناس ومازالوا يعدونها عيبا، وهي ضيق وادي النيل بقنا، مما يقلل الرقعة الخضراء ويضيق الزراعة ،التي يعتمد عيها المصريون في معاشهم وحياتهم ،حيث يحيط الوادي الهضبتان الغربية والشرقية ،ولكن ناصف جعل ذلك ميزة ، فهاتان الهضبتان حصنان يحميان الناس، ويؤمنان حياتهم،ويشعران المقيم في قنا والزائر لها أنه يعيش في حصن حصين أو قلعة محكمة ،فهو موقع يخزل العدو وليس يوجد مثله في القطر المصري كله!!:

بلـــــد إذا حلـــــت بـــــه قـــدماك قلـــت حللـــت حصـــنا

جبـــــل المقطـــــم حولـــــه متعطـــف كـــالنون حســـنا

هيهـــات أن يصـــل العـــدو لـــــه ويـــدرك مـــا تمنـــى

أرأيـــــت يومًـــــا مثلـــــه فـــي القطـــر تحصـــينًا وأمنًـــا

ثم يبين مزية زراعية ،وهي ميزة كبيرة لا يعرفها إلا من عاش في غير الصعيد ثم جاء يعيش في الصعيد، فالزراعة تزرع مبكرا وتثمر مبكرا، والثمار في

هذا البلد تكون أكبر حجما وأثقل وزنا ،فالنبق يكون كالرمان والجميز مثل البيض والدوم دائما طوال العام لا ينتهي موسمه وهذا لا يكون إلا في هذا المكان !!

النبـــت فـــي غيطانـــه متقـــدم غرسًـــا ومجنـــى
والشـــيء يعظـــم حجمـــه فـــي جـــوِّه ويزيـــد وزنًـــا
فالســـدر كالرمـــان والـــ ـــجميز كـــالبيض المحنـــى
والـــدوم فيـــه دائـــم يفنـــى الزمـــان ولـــيس يفنـــى

ثم يمدح الصناعة التي اشتهرت بها قنا واختصت بها في مصر، وهي صناعة الأدوات الفخارية فكان ومازال أشهر شئ في مصر في الصناعات الفخارية (القلل القناوي) فأي آنية فخارية يكفي لرواجها وتهافت الناس علي شرائها واقتنائها أن تنسب لقنا:

فخـاره ... لهـج الأنـا م بمدحـه يُسـرى ويُمنـى
يكفـي لتـرويج الأو انـي أن يقـال (قنـا) فتقنـى

ثم يستمر الشاعر في الموازنة بين الصعيد و(بحري) أو بين الجنوب والشمال ، أو بين قنا والقاهرة إن شئت الدقة ،فيجعل كل عيوب قنا مزايا ومن ذلك تلك الأبيات الشهيرة التي يحفظها أهل قنا حتى الآن:

قـالوا شخصـت إلـى (قنـا) يـا مرحبًـا بقنـا و(إسـنا)
قـالوا سـكنت السـفح قلـ ـتُ : وحبـذا بالسـفح سـكنى

فهو يرحب بالسكني في قنا ،ولما ذكروه وخوفوه بأنه يعيش تحت الجبل، فرد:إنها أفضل مكان للسكن ،وأفضل منزل للإعاشة !!

ثم يذكر ما يخيف الناس ،ويجعلهم يكرهون الصعيد وقنا ،وهي الحرارة فيثني عليها خيراً ويري فيها سر الدنيا، فهي الحياة والبرودة هي الموت، فالطيور تتغني لما تشعر بالدفء ، والزهور تتفتق أكمامها بالحرارة ، والأغصان تتمايل وتنمو

وتخضّر بالحرارة ،فبالحرارة المتولدة عن احتضان الدجاجة بيضها تتولد الحياة في البيض الدافئ ، والطيور التي يعضها ألم البرد فتكمن في أعشاشها ، تنطلق مغردة مرفرفة مع انتشار الدفء ، والأنهار تفيض صيفاً بفعل الحرارة ؛ فتغذي النبات والإنسان :

قـــالوا (قنـــا) حـــر فقلـــ ـــتُ : وهـل يـرد الحـر قنـا
ســـرُّ الحيـــاة حـــرارة لـــولاه مـــا طيـــر تغنـــى
كـــلا ولا زهـــر تبســـم لا ولا غصـــن تثنـــى
والحـــي بـــدء حياتـــه بعـد التـزام البـيض حضـنا
تتـــدفق الأنهـــار مـــن حـــر وتزجـــي الـــريح مزنـــا

ثم عدد ميزات الجو الحار وميزاته الصحية فقد أمن البرد ونجا من الحمى الباردة التي تنفض الأجساد وتقشعر لها الأبدان ولها في الأبدان من الفعل أشد من الحمى الحامية ،وأمراض البرد من (التهابات ، وأمراض عظام وأنفلونزا ، وحساسية) وعشرات الأمراض التي تظهر في البرد قد استراح منها وأمن جانبها وهو يلقي الهواء دون خوف من برودة أو رطوبة ، وهذه ميزة تضاف إلي المزايا التي يعددها لهذا المكان.. بالإضافة إلي نومه بالليل متحررا من الثياب متخففا من الملابس غير لبسة المتفضل ،وهو آمن غير خائف من قر ولا سقم!!

هـــا قـــد أمنـــت البـــرد والـــ ـــبرداء[1] والقلـــب اطمأنـــا
ووقيـــت أمـــراض الرطـــو بـــة واســـتراق الـــريح وهنـــا
ألقـــى الهـــواء فـــلا أهـــا ب لقـــاءه ظهـــرًا وبطنـــا
وأنـــام غيـــر مـــدثر شـــيئا إذا مـــا الليـــل جنـــا

(١) البُرَدَاءُ كَكُرَماء : الحُمَّى الباردة ، وتسمَّى : النافضة .

ثم يوضح المزايا المالية والاقتصادية لحياته الجديدة في هذا المكان فقد قلّت النفقات وتوفرت المصروفات .

أولا: من ناحية الثياب فهو لا يحتاج إلي ملابس صوفية ولا ملابس قطنية ثقيلة تقيه القر ، وتحفظ بدنه من البرد لأن البرد لا يوجد في هذا الجو الدافئ!!.

ثانيا: بالنسبة للوقود الذي يحتاجه قد نقص احتياجه إلي النصف بل أقل لأن الشمس صارت البديل الطبيعي من غير غرامة فيجد الماء ساخنا عند الغسل وعند الغسيل وعند الطبخ وعند الخبز وهذا كله توفير للوقود وهو توفير للمال!!.

ثالثا: توفر المال الذي كان ينفقه في الترف وفي الملاهي وفي الذهاب إلي المتنزهات والحدائق العامة والخاصة وفي النوادي وأماكن التريض الخاصة ؛ لأن الصعيد لا يوجد فيه هذه الملاهي!!.

قـــد خفَّـــت النفقـــات إذ ... لا أشـــتري صـــوفًا وقطنـــا
وفَّـــرت مـــن ثمـــن الوقـــود ... النصـــف أو نصـــفًا وثُمنـــا
فالشـــمس تكفـــل راحتـــي ... فكأنهـــا أمـــي وأحنـــى
فـــإذا بـــدت لـــي حاجـــة ... فـي الغسل ألقى الماء سخنا
أو رمـــت طبخًـــا أو عـــلا ... ج الخبـــز ألقـــى الجـــو فرنـــا
ســكنى القــرى تــدع الســفيه ... مـــوكلاً بالمـــال مضـــنى
أي الملاهـــي فيـــه يصـــر ... ف مالـــه ومتـــى وأنـــى

ثم يتنقل إلي بيان نمط الحياة في الصعيد حيث ينتهي الناس من أعمالهم –التي تبدأ ف جرا– مبكرا مع الظهيرة فيستكن كل واحد في بيته ويأوي لداره مع أهله !.

كـــل امـــرئ تلقـــاه مـــن ... بعـــد الظهيـــرة مســـتكنا

ثم يبين ميزة جميلة في هذه البلاد فهي لا تستغل الغريب ولا تخدعه أو تغره لأنه غريب لا يعرف حقيقة حالها إنما الغريب يشعر بالوفر في ماله ويري قلة الأسعار في السلع التي تباع وهذا من صدق المعاملة:

... ويرى الغريب السعر أيسـ ـــر حالـــة وأخـــف غبنـــا

ثم يعد المزايا التي تلاحظ في السلع المباعة في هذا المكان فاللبن يوجد طازج ولا يتلف أو تقل قيمته الغذائية نظرا للمسافة في السفر وذلك الذي يشعر به أهل المدن كذلك السمن تجده صافيا غير مغشوش ولا مزاد فيه ما ليس منه بالغش الذي يمارسه بعض التجار الذي يجلبونه للمدن!! ،

يجـــد الحليـــب بعينـــه لبنًـــا ويلقـــى الســـمن ســـمنا

والميزة الأهم لحفني ناصف الكرامة والعزة والشجاعة فهو قد صار في القرية رأسا مستقلا في رأيه كلمته منه بخلاف ما لو عاش في المدينة ليرضي وزير الحقانية ومن ورائه اللورد كرومر حيث الخوف والجبن وهو ما يربأ بنفسه عنه ويكرمها أن تقع في وهدته !!.

عـــش فـــي القـــرى رأسًـــا ولا تســـكن مـــع الأذنـــاب مـــدنا

واربـــأ بنفســـك أن تـــرى مســـتمرئًا فـــي العـــيش جبنـــا

ثم ينهي قصيدة بما يبين أنها كانت سخرية من وزير الحقانية واللورد كرومر وتحديا لهم وتشفيا فيهم وأنه يفتقد المدينة ومزاياها من أماكن غناء ومدنية وحضارة وفتيات حسان وأغاني وطرب وصورة حسنة !!.

ودع الجزيـــــرة والمهـــــا والجســـــر والظبـــــي الأغنـــــا

ثم يطالب نفسه بالتسلي ، وهذا دليل علي ندمه ؛ لأن التسلي لا يكون إلا عند فقد الغالي والعزيز فهو ينساه بغيره ، فهذا الذي ينسي به ليس مقصودا لذاته بل لينسي الأغلى والأحب للنفس والأعز عليها!!.

واســـــلُ الأغـــــاني والغـــــوا نـــــي واســـأل الـــرحمن عـــدنا

وختم القصيدة بقوله:(واسأل الرحمن عدنا) دلالة علي افتقاده ما توحي به الجنة ، وما فيها من وسائل الراحة والرفاهية والسعادة في هذا المكان ؛ لذا فهو يعيش علي أمل أن ينال ما حرم منه ؛ وذلك بسؤال الله جنة عدن يوم القيامة.

المطلب الثاني

شرح قصيدة محمد رجب البيومي

يستهل قصيدته بمطلع يرد به علي مطلع حفني ناصف فيقول من نقله آذيتني بهذا النقل بدنيا ونفسيا وغلَبتني ونقصنني حقي وخدعتني ووكسَتني وظلمتني في الناس ظلما بيّنا لأن الظلم الذي يطلع عليه الناس يكون أقسي كثيرا من الظلم الذي يكون بين الظالم والمظلوم وحدهما!!.

آذيتنـــي حســـاً ومعنـــى وغبنتنـي فـى النـاس غبنـا[1]

ثم يظهر المصائب التي وقعت علي رأسه بهذا النقل لهذه البلدة وأولها شماتة أعدائه وشفاء صدر كارهيه فهذه المصيبة الكبرى كفيلة بإسعاد شانئيه وفرح مبغضيه وكفي بهذا مصيبة!!.

وشـــفيت مهجـــة حاســـدٍ باتـت تمـور علـىّ ضـغنا

فقد كان يخشي الصعيد ويخاف منه علي السماع قبل أن ينقل إليه ،فهو عنده وعند غيره الخشونة والوعورة وشظف العيش بخلاف المدينة حيث السهولة ويسر السبل ورغد العيش:

أخشـــى الصـــعيد مروعـــاً فـأجوب بعـد السـهل حزنـا

ثم يتحدث عن قنا بنفس الطريقة التي تحدث بها حفني ناصف مع نقض المعاني التي ذكرها ناصف فقد ذكر أن هذه البلدة من نزل بها تيقن أنه حلّ حبسا وسكن سجنا وذلك أنه لن يستطيع أن يواصل أصحابه ولا يجالس أحبابه لبعدهم عنه ونأي مسكنهم عنه حيث يقيمون في (بحري) الإسكندرية والقاهرة أما هو فقد

(١) ديوان : حنين الليالي ،د.محمد رجب البيومي ،ص: ٢١٩ ،مطبعة السعادة ،(الأولي) ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.

نقل لهذا المكان القاصي البعيد والذي صور بُعده الشديد وصعوبة الوصول إليه بصورة القطار الذي يسأم ويمل من طول المسافة وبعد الشقّة وكثرة ما يبذله القطار من جهد شاق مضن متواصل لبلوغها فإذا كان القطار وهو من أقوي أنواع المواصلات وهو حديد يسأم ويمل ويضني ويكل من :

بلـــــد إذا حلـــــت بـــــه قـــدماك قلـــت حللـــت ســـجنا
إن رمـــت وصـــل صـــحابتي شـــاهدت دون الوصـــل بونـــا
جهـــد جهيـــد للقطـــار يعيـــده ســـأمان مضـــنى

ثم يقارن البيومي بين طلابه في الرمل إسكندرية وبين طلابه هنا في قنا ولا يقصد مقارنة ناس بناس بل يقصد بيان أثر المكان في الناس ؛ حيث وسم طلابه في قنا بأنهم غـلِاظَ التَّعَامُـلِ وَالسُّـلُوكِ أفَظّـاظ قسِـاةً ضعاف العقول قليلو الذكاء فعقولهم كالشمس التي غطتها السحب فذهبت بنورها فلم يره الناس،ويلاحظ هنا إصرار البيومي علي اتهام المكان بأنه السبب في السوء فعقولهم كعقول غيرهم شمس كما خلقها الله ونور لكن هناك عوامل خارجية هي التي حجبت نورها وذهبت بضوئها كالسحاب ويعدله هنا المكان والبيئة والجو الخارجي..!!

ثم يعود(فلاش باك) للوراء حيث طلابه بالرمل الذين يظهر علي سمتهم وعلي أجسادهم أثر المكان .

فالذوق وحسن الأدب وجمال السلوك السوي حيث يأتلقون دهنا بخلاف طلابه بقنا الحرش غلاظ الملمس أثر عليهم المكان يبدو واضحا هنا وهناك ألقي المكان بظلاله عليهم فنعموا لنعومة مكانهم !!

أرنـــو لطلابـــي فأبصـــرهم جفـــاة الـــذوق خشـــنا
خبـــت العقـــول كأنهـــا شـــمس كســـاها الأفـــق دجنـــا
لا مثـــل إخـــوان لهـــم بالرمـــل يـــأتلقون دهنـــا

تـــــرف الحيـــــاة أمـــــدهم بالـــــذوق فاتخـــــذوه فنـــــا

ثم يبين أنه ذهب إلي هناك مرغما علي غير رغبة منه فعندما أخبروه بنقله إلي هناك لم يستبشر ولم يهش ولم يبش بل قال لا مرحبا بقنا وبإسنا ،ثم يستدل علي سوء هذا المكان وقبح الإقامة فيه بسمرة الوجوه وسواد جلود الناس فقد أحالهم القيظ وحولهم الحر وصيرهم المكان إلي أنهم يشبهون الجن شكلا ولونا!!

قـــالوا شخصـــت إلـــى قنـــا لا مرحبـــا بقنـــا وإســـنا

يكســـو الهجيـــر بهـــا الوجـــوه دجـــى يحيـــل الحـــر قنـــا

يكفيـــك أن الإنـــس صـــاروا مـــن ســـواد اللـــون جنـــا

هو كاره للمعيشة في هذا المكان حيث تبدلت إلي الأسوأ في كل شئ !

أنـــــا لا أريـــــد معيشـــــة قـــد بـــدلت طعمـــا ولونـــا

ثم يرد علي حفني ناصف في كل ميزة قالها ونسبها لقنا وأولها سكني تحت الجبل وهذه سكني لا يطيقها احد ولا يصبر عليها إلا من ينتفع بها وهم رعاة الغنم والمعز وهذه ليست مهنته فليس له صبر عليها ولا رضا بها!!

قـــالوا نزلـــت الســـفح قلـــت ومـــن يطيـــق الســـفح ســـكنى

أنـــا لســـت ذا غـــنم لكـــي أرعـــى بـــه معـــزا وضـــأنا

ثم يرد علي ميزة قلة النفقات ووفر المصروفات ،التي تفاخر بها حفني ناصف بأنها خداع ؛ فإن قلة النفقة تبعها ذهاب البدن ونحول الجسد وفقر الحال، حيث لا يوجد ما يباع ،ولا ما يشتري ويقتني ، فقلة النفقة ليست رغبة ولا اختيارا، بل اضطرارا وإجبارا !!

قـــد قلّـــت النفقـــات لكـــن قـــلّ جســـمي الهـــش وزنـــا

مـــا حيلتـــي إن لـــم أجـــد شـــيئا يبـــاع بهـــا ويقنـــى

وعدم شرائه الصوف والقطن ليس في نظره وفرا بل هو إهانة لأنه تعري بين الناس !!

قـــالوا كنـــزت المـــال إذ لا تشـــترى صـــوفا وقطنـــا
أيظـــل جســـمي عاريـــا بـــين الـــورى ظهـــرا وبطنـــا

ثم يتحدث عن الحر وميزاته التي ذكرها ناصف وانه سر الحياة وأمنة من البرد في الليل لكنه يقرر أن هذه الميزات لا تدوم إلا شهرا حيث بقاء الشتاء ثم يظل الحر طيلة العام يرهق الأبدان ويضيّق الصدور ويشوي الأرواح ويوحي للإنسان بالكسل حيث ملازمة البيوت خوفا من مواجهة شعاع الشمس ولهيب الطرق فالجو هناك اتخذ شدة القيظ ولهيب الحر راح وسيوف وأسنة لا يجد الساكن هناك والمقيم وقاية ولا ترسا تقيه هذا الحر وذاك الهجير...فهذا الحر وصل لدرجة صار فيها نارا تلظي تحيل الصخور والحجارة إلي ما يشبه الصوف قطعا صغيرة متلونة منصهرة من شدة الحر... وصارت الهضبة الشرقية – والتي كان يطلق عليها المقطم– تئن وتصرخ من شدة الحر والذي صار يشبه جهنم (اللظى) من سخونته ووهج ناره وشدة أواره ..!!

قـــالوا الحـــرارة فـــى الشـــتاء تنيـــل جســـمك مـــا تمنـــى
تـــأتى الســـرير بـــلا غطـــاء إن رأيـــت الليـــل جنـــا
وتبيـــت ليلـــك آمنـــا شـــر البـــرودة مطمئنـــا
قلـــت الشـــتاء يقـــيم شهـــ ـــراً بـــين أظهرنـــا ويفنـــى
ويطـــول حـــر الصـــيف حتـــى يزهـــق الأرواح منـــا
يـــوحى الخمـــول ، فكـــل جـــواب نـــراه قـــد اســـتكنا
تخـــذ الهجيـــر أســـنة تهـــوى فـــلا تجـــد المجنـــا
نـــار إذا اتقـــدت مشـــاعلها تحيـــل الصـــخر عهنـــا

جبـــل المقطـــم صـــارخ يشـــكو اللظـــى ويـــئن أنـــا

ثم ينتقل إلي عيب كبير من عيوب العيش في هذا المكان ويصوره في صورة دقيقة منفرة في وهي صورة العطشان الظامئ الذي يتوق إلي الماء ثم صاغ الصورة في سؤال يخيف ويرعب (بأي كارثة ستمني) حيث يأتي ممنيا نفسه بشراب بارد طامعا أن يروي بكأس ماء مثلج يلطف حلقه ويذهب بحرارة الشراب لكنه ثم يمسك بالكأس ويظن أنه قد اقترب من بغيته ونال مراده يصاب بخيبة أمل فالقيظ ألهب الشراب فلم يستساغ وإن شربه فلن يحس ريا ولن ينهي ظمأه !!.

ويـــح الحلـــوق الظامئـــات بـــأي كارثـــة ســـتمنى
تـــرد الكـــؤوس لترتـــوي برحيقهـــا ، فتضـــن ضـــنا
وتطيـــر صـــوب المـــاء وهـــ ـــو مـــثلج ، فتـــراه ســـخنا
القـــيظ ألهبـــه فلـــم نبصـــر بـــه للـــري معنـــى

فالحر الشديد والذي زاد عن الحد المقبول هو الذي جلب الخراب إلي الصعيد وجعله خاليا من أسباب الرفاهية بل وأسباب الحياة فقلّ خيره وضعفت موارده وصار طاردا لأهله بل طاردا للحياة !فالصحراء قد حفت به من كل جانب وسفح الجبل ليس فيه إلا الجفاف والحر والرمال وليس فيه أي وجه للحسن ولا جانب جمال يروق للنظر...بل في الحياة تري مظاهر الموت !! فالحقول التي ينبغي أن تعج بالحياة، وهي علي اتساعها وكبرها لا تسمع فيه طيرا يتغني؛ فقد هربت الطيور من الحرارة التي تشوي الحياة والأحياء ، ولا تكتحل عينك برؤية زهر يظهر ، ولا تري غصنا يميل مع نسمة هواء تداعب أوراقة، فليس ثمة رياح ولا حتى هواء...

جلـــب اليبـــاب علـــى الصـــع يـــد وزاد عنـــه الخيـــر غبنـــا

فـــانظر تـــر الصـــحراء ، قـــد حفـــت بـــه يســـرى ويمنـــى
ســـفح مديـــد غيـــر أنـــ ـــك لا تـــرى بالســـفح حســـنا
تـــأتى الحقـــول الشاســـعا ت فـــلا تـــرى طيـــرا تغنـــى
"كـــــلا ولا زهـــــر تبســـــم لا ولا غصـــــن تثنـــــى"

ثم ينتقل إلي مشكلة كبري يعاني منها المقيم في هذا المكان وهي انعدام أماكن الترويح عن النفس فإذا أصيب المقيم بأرق وكثيرا ما يصيب الناس فلا يجد ملهي أو نادي أو مكان يجتمع فيه الناس ليلا يتسامرون ويقدم لهم الطعام والشراب وبعض وسائل الترفيه حتى يتسلوا وينسوا هموهم وأسباب أرقهم وهذه الأماكن تكثر في المدن..!

إن طـــال ليلـــى لـــم أجـــد ملهـــى يتـــيح الأنـــس وهنـــا
أي النـــــوادي فيـــــه أقـــــ ـــضى الوقـــت مبتهجـــا وأنـــى؟

ثم يبين قمة معاناته ، حيث يبت متعبا مضطرب القلب،مبلبل البال، لا يجد هدوء ولا راحة ، ولا يستطيع النوم ، ولا يغشاه نعاس يتقلب علي الفراش وهو وحيد يتحامل في مشقة وعسر ، معذب القلب والبدن ، يئن وينوح من الحزن والغم والأرق والهم...!!!

فأبيـــت لا الأحشـــاء هـــا دئـــة ولا الأجفـــان وســـنى
مـــتململا فـــوق الفـــرا ش وخـــافقى كلـــف معنـــى
وأصـــيح محزونـــا كطيـــ ـــر هاجـــه شـــجن فحنـــا

ثم ينهي قصيدته بمخاطبته لحفني ناصف ، فيتهمه بالتطاول والتجرؤ والكذب، حيث قلب الحق باطلا وجعل الباطل حقا ، ويتهمه بالنفاق حيث خالف لسانه ما يحسه قلبه ، فقلبه يبكي ويصرخ لنقله لهذا المكان ، وإن كان شعره خالف ذلك ، وقال مالا يحسه ، فهو يتحدث بباطل ، أما البيومي فهو يتكلم بالحقيقة،

ويقول ما يتوافق عليه قلبه ولسانه ، لم يكذب ، ولم يعكس الحقائق ، ولم يجمل الأشياء بغير ما فيها!!!.

حفنـــي قلبـــت الحـــق مجـــ ـــترئا فـــدعنا منـــك دعنـــا

قـــد نـــاح قلبـــك معـــولا لكـــن شـــعرك قـــد تجنـــى

أمـــا أنـــا فصـــدقت فيـــ ـــما قلـــت إحساســـا ومبنـــى

المطلب الثالث

بين القصيدتين

أولا: جاءت القصيدتان علي روي واحد وهو حرف النون ،ومن صفات هذا الحرف أنه حرف مجهور، فهو يناسب الغرض ،حيث إن ناصف يجهر بتحديه ويشفي غيظ صدره ويتشفي فيمن نقلوه ، وهو حرف مستفل ليس مستعليا ولا يفخم فهو حرف مرقق يناسب شعور الشاعر سواء بالمكان وما رآه فيه من ميزات،وكذلك رقة حال المكان وبساطته ...، (والألف حرف وصل).

والقصيدتان علي بحر واحد وهو مجزوء الكامل، وقد سارا في نفس المعني وهو الحديث عن الصعيد في صورة قنا ،أحدهما يمدح ويبني ،والآخر يهدم المعاني التي جاء بها وينقضها.

والبحر الواحد والروي الواحد وتناول نفس المعاني ،هذا من أهم شروط النقائض[١]، ف"لابد من وحدة الموضوع فخرا أو هجاءً أو سياسة أو رثاء أو نسيبا أو جملة من هذه الفنون المعروفة.. ولابد من وحدة البحر فهو الشكل الموسيقي الذي يجمع بين النقيضتين .. ولابد من وحدة الروي وحركته[٢] ".

ثانيا: الدكتور :محمد رجب البيومي كان أطول نفسا، وأكثر استرسالا، وبسطا للمعاني التي يريدها، حيث بلغت قصيدة حفني ناصف أربعين بيتا ،لكن قصيدة البيومي بلغت ستة وأربعين بيتا، فقد زادت علي قصيدة ناصف بستة أبيات، وهي تدل علي طول نفسه الشعري، واستيفائه لمعاني ناصف ونقضها وزاد عليها.

---

(١)ينظر :أدب السياسة في العصر الأموي ، محمد أحمد الحوفي، ص:٢٢٨ ،٢٢٩، ط.دار مكتبة نهضة مصر بالفجالة (الطبعة الخامسة) ١٩٧٩م ، نقائض جرير والفرزدق، دراسة أدبية تاريخية ،(١/٢٠٠ وما بعدها) مطبعة دار المعرفة بغداد (الأولي) ١٩٥٤م.

(٢) تاريخ النقائض ، أحمد الشايب ، ص:٣ ، مكتبة النهضة المصرية ،(الثانية) ١٩٥٤م.

ثالثا: يبدو من قصيدة حفني ناصف أنه لم يكن يصف الصعيد، وارتياحه له وفيه ،بقدر ما كان يتحدي و يغيظ وزير الحقانية ومن ورائه اللورد كرومر ،ويشفي نفسه ويذهب غيظ قلبه ويتشفي فيهما ،بإظهار المساوئ محاسن، وبيان الوجه الحسن في كل ما وصفه – فكل شئ في الخلق له وجهان ، وفيه خلتا الخير والشر ، وكل راءٍ يصور حسب وجهة نظره ورؤيته – وقد تجلد ناصف للشامتين يريهم أنه لا يهزم بسهولة، ولا يمكن كسره بيسر، كما قال أبو ذؤيب الهذلي :

وَتَجَلُّـــدِي لِلشَّـــامِتِينَ أُرِيهِـــمُ أَنِّـي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ[1]

رابعا : الألفاظ : ألفاظ القصيدتين سهلة يسيرة قريبة المأخذ غير معجمية، فهي لا تحتاج إلي معاجم لغوية في معرفتها ،إلا ما كان من بعض الألفاظ القليلة في قصيدة حفني ناصف مثل(سدة ، أسني، المشارع ، البرداء) ، وأكثر قليلا في قصيدة رجب البيومي، فإنها تحتاج إلي نظر في المعجم من غير المتخصصين، أما المتخصص ومن اعتاد قراءة الأدب فإنها سهلة يسيرة من نحو(خبت، دجنا، عهنا معولا ، وسنى، خافقي، وهنا، القيظ) .

خامسا: المعاني : واضحة ،سهلة الفهم، لا تعنت القارئ ولا السامع، ولا تحتاج إلي إعمال العقل أو كد الذهن في معرفتها ، كما أنها لا تحتاج في فهمها إلي إعادة القراءة مرة أو أكثر ككثير من القصائد .

سادسا: كل معني طرقه حفني ناصف وصاغه في بيت، رد عليه رجب البيومي ببيت ينقض المعني ويهدمه، ومن أمثلة ذلك قال ناصف:

رقيتنـــــي حســـــا ومعنـــــى فلصـــــنعك الشـــــكر المثنـــــى

رد البيومي:

---

١ ينظر : شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد الحسن السكري ، (١/٤-٤٠)، حققه عبد الستار فراج ، مكتبة دار العروبة .

آذيتنـــــي حســـــاً ومعنـــــى وغبنتنـــي فـــى النـــاس غبنـــا

وقال ناصف:

وجعلـــــت رأس الحاقـــــدين بمصـــر مـــن قـــدمي أدنـــى

رد البيومي:

وشـــفيت مهجـــة حاســـدا باتـــت تمـــور علـــىّ ضـــغنا

وقال ناصف:

بلـــــد إذا حلـــــت بـــــه قـــدماك قلـــت حللـــت حصـــنا

رد البيومي:

بلـــــد إذا حلـــــت بـــــه قـــدماك قلـــت حللـــت ســـجنا

وقال ناصف:

قـــالوا شخصـــت إلـــى (قنـــا) يـــا مرحبًـــا بقنـــا و(إســـنا)

رد البيومي:

قـــالوا شخصـــت إلـــى قنـــا لا مرحبـــا بقنـــا وإســـنا

وقال ناصف:

قـــالوا ســـكنت الســـفح قلـــ ـــت : وحبـــذا بالســـفح ســـكنى

رد البيومي:

قـــالوا :نزلـــت الســـفح قلـــت : ومـــن يطيـــق الســـفح ســـكنى

وهكذا في كل المعاني، نقضها البيومي إما نقضا مباشرا ،فكأن بيت البيومي هو نفس بيت ناصف مع اختلاف في بعض الألفاظ، أو نقضا غير مباشر بحيث يظهر الأمر علي عكس ما ذكره ناصف والحق بخلاف ما قاله ناصف.

المبحث الثالث
أهمية القصيدتين

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :إحياء فن النقائض.

المطلب الثاني : بيان أهمية المكان للأدب وللأديب.

المطلب الثالث: تأكيد علي أهمية البيان وأثره.

المطلب الرابع : قوة الشكل العمودي واستيعابه لكل المعاني والأغراض.

المطلب الأول

إحياء فن النقائض.

تعد قصيدة حفني ناصف من أسباب رجوع وظهور فن النقائض، فقد ساهمت بقوة في إحياء هذا الفن في الخمسينيات من القرن الماضي، حيث رد عليها الدكتور محمد رجب البيومي بقصيدته – وهما موضع الدراسة – وتدخل شاعر أخر في هذا الموضوع لنصرة رأي حفني ناصف، وهو الشاعر محمود بكر هلال ، والذي أيد حفني ناصف، وهلال من الصعيد وهو أدري به (أهل مكة أدري بشعابها) فقد نشر البيومي قصيدته بمجلة الثقافة ، ثم نشرت رداً علي هذه القصيدة قدمت له بقولها :

" كتب الأستاذ الأديب محمد رجب البيومي في مجلة الثقافة بالعدد ٧٠٧ قصيدة يناقض بها قصيدة المغفور له حفني بك ناصف ، فكتب الأستاذ الشاعر الأديب محمود محمد بكر هلال قصيدة أخري يناقض بها قصيدة الأستاذ البيومي ، قائلا فيها[١]:

حفني شدا بالحق معـ	ـترفاً فدعنا منك دعنا
قد هش لما عينوه	قاضياً بقنا وإسنا
أما خيالك فاستطال	وشعرك الباغي تجني
لما ارتقيت مدرسا	أعلي وصرت أجل شأنا

(١) مجلة الثقافة ، العدد ٧١٠ ، بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٢م

وهذا يذكرنا بالعصر الذهبي للنقائض وهو العصر الأموي، حيث يناقض جرير الفرزدق فيتدخل الراعي النميري[١] بينهما لينحاز للفرزدق ولينصره علي جرير بقوله:

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق بالهجاء جريرا[٢]

ليرتد عليه هذا الانحياز وتلك النصرة للفرزدق وبالا جسيما وخطرا عظيما، يقصم ظهره وظهر قومه حيث يرميه جرير بقصيدة أنفاذها تقطر دما مطلعها:

أَقِلّي اللَومَ عاذِلَ وَالعِتابا وَقولي إِن أَصَبتُ لَقَد أَصابا[٣]

ومنها أهجي بيت عرفته العرب[٤]:

فَغُضَّ الطَرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا

(١) ينظر : طبقات فحول الشعراء ،ابن سلام الجمحي ،٢/ ٤٣٨،٤٣٧ ، تح: محمود محمد شاكر، ط. دار المدني، والتذكرة الفخرية ، لبهاء الدين الإربلي ، ص : ١٨ ،١٩ ، تح: د.حاتم صالح الضامن ، ط. دار البشاير (الأولي)١٤٢٥هـ ،٢٠٠٤م.

(٢) شعر الراعي النميري :٢١١

(٣) ديوان جرير :٨١٢

(٤) طبقات فحول الشعراء ،ابن سلام الجمحي، ٢/٣٨٨،٣٨٧ ، تح:محمود محمد شاكر،ط. دار المدني.

المطلب الثاني

بيان أهمية المكان للأدب وللأديب

فالمكان له أثر كبير في الأديب شاعرا كان أم ناثرا وله أثر في أدبه سلبا أو إيجابا والقصة المشهورة لعلي بن الجهم التي تقول:إن ابن الجهم كان بدوياً جافياً ،فقدم على المتوكل العباسي ،فأنشده قصيدة ، منها:

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قِراع الخطوب

أنت كالدلو ، لا عدمناك دلواً من كبار الدلا كثير الذنوب

فعرف المتوكل حسن مقصده وخشونة لفظه ، وأنه ما رأى سوى ما شبهه به ، لعدم المخالطة وملازمة البادية ، فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة فيها بستان حسن ، يتخلله نسيم لطيف يغذّي الأرواح ، والجسر قريب منه ، وأمر بالغذاء اللطيف أن يتعاهد به ، فكان – أي ابن الجهم – يرى حركة الناس ولطافة الحضر ،فأقام ستة أشهر على ذلك ، والأدباء يتعاهدون مجالسته ومحاضرته ، ثم استدعاه الخليفة بعد مدة لينشده ، فحضر وأنشد :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

فقال المتوكل : لقد خشيت عليه أن يذوب رقة ولطافة.[1] "

فالمكان يعيش في الأديب ويوثر في أدبه رضي أو لم يرض لأنه أمر خارج نطاق الإرادة يقول (يوري لوتمان):"إن علاقتنا بالمكان تنطوي– إذاً على جوانب شتى ومعقدة تجعل من معايشتنا له عملية تجاوز قدرتنا الواعية لتتوغل في لا شعورنا. فهناك أماكن جاذبة تساعدنا على الاستقرار، وأماكن طاردة تلفظنا.

(١) قصص العرب محمد أحمد جاد المولي ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم: ٢٩٨/٣، ، الناشر: عيسى البابي الحلبي ،(١٣٨١ – ١٩٦٢)، نقلا عن: محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار،ابن عربي الصوفي (٣/٢) .

فالإنسان لا يحتاج إلى مساحة فيزيقية يعيش فيها، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره، وتتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله إلى مرآة ترى فيها الأنا صورتها، فاختيار المكان،وتهيئته يمثلان جزءاً من بناء الشخصية البشرية (قل لي أين تحيا أقل لك من أنت)[١] ".

إن "البيئة المكانية هي التي تسم الشخصية، وتكسبها الكثير من ملامحها، فإن أبرز ما يحركها تفاعل الذات مع البيئة والوسط المحيط، إن إيجاباً،وإن سلباً، وهذا يرتد أثره على الفضاء الرؤيوي للمبدع في تحثث الأماكن، وتحريك فضاءاتها، وهذا يدلل على"أنه ليس ثمة وجود بلا مكان، ويستدعي وجود المكان وجود الإنسان محور ذلك الوجود، والعامل الشاهد واقعياً على مشهد الحياة، وتتنوع الأجناس الإنسانية بتنوع المكان، وما يترتب على ذلك التنوع من اختلاف؛ في المعتقد، واللون، والمزاج، والسلوك، والتكوين، إذ يصطبغ الإنسان بمكانه، ويعكس مزاج بيئته، ومواصفاتها، ومواضعاتها، وتركيبتها النفسية. [٢]"

فللمكان أثره في الأدب وله خصوصيته في الفضاء النصي ذلك " أن ألفاظ المكان الشعرية ذات طاقات جمالية تعبيرية تتجاوز دلالة الاصطلاح إلى البحث عن

(١) مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان (ناقد سيمائي١٩٢٢: ١٩٨٦م) ترجمة:سيزا قاسم، مجلة ألف، الصادرة عن الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ع٦،ص٨٣. نقلا عن: شعرية المكان والزمان، حافظ محمد جمال الدين ،٢٠٠٤ ص٦١-٦٢.مجلة علامات ج٥٢،م١٣، النادي الأدبي الثقافي بجدة.

(٢) المكان في الرواية السعودية.. رؤى ونماذج"، محمد الدبيسي ، ضمن أبحاث الندوة الأدبية (الرواية بوصفها الأكثر حضوراً") نادي القصيم الأدبي، ط١، ص٣٥٤.

دلالات ومعاني جديدة أكثر قدرة على الإيحاء، كما أن حضورها ذو دلالة على خفايا الشعور وكشف عن علاقة الشاعر بمحيطه المكاني[١]".

وليست أهمية المكان تقف عند المبدع بل للمتلقي والناقد أيضا فبما أن المكان هو الحيز المادي الذي تجري به الأحداث، والمنعكسات الوجودية ، فمن الطبيعي أن يحظى المكان بأهمية قصوى في الكشف النصي، وهذا يعني أن " المكان في الشعر عنصر مهم لا تخلو منه النصوص الشعرية، غير أنه ليس مجرد إضافة شكلية فارغة من المدلول، وإنما أصبح يشكل واحدا من مفاتيح النص الشعري، الذي يساعد على كشف مدلولاته واستكناه أسراره، مما جعله في رؤية النقاد والمبدعين زاوية النص باعتباره المفتاح الأهم للولوج ،إلى فضاء النص والوقوف على حيز المعاني التي يتضمنها النص الشعري. [٢]"

---

(١) جماليات المكان وبناؤه في الشعر العربي الحديث في اليمن(١٩٤٠ :٢٠٠٠م)، ياسر فضل صالح عبد الكريم العامري، إصدار:المركز الوطني للمعلومات، اليمن.

(٢) جماليات المكان في ديوان(الزمن الأخضر) لأبي القاسم سعد الله، بنزيتر ابن علي، ص١ ، جامعة بلعباس، الجزائر.

المطلب الثالث

تأكيد علي أهمية البيان وأثره

– يؤكد حديث نبينا صلي الله عليه وسلم قال:(إنَّ مِنَ الشِّعْر حِكْمةً، وإنَّ مِن البيانِ سِحْراً[1]).

الْبَيَان كما قَالَ الْخَطَّابِيُّ:اِثْنَانِ: أَحَدهمَا: مَا تَقَع بِهِ الْإِبَانَة عَنْ الْمُرَاد بِأَيِّ وَجْه كَانَ ، وَالْآخَر: مَا دَخَلَتْهُ الصَّنْعَة بِحَيْثُ يَرُوق لِلسَّامِعِينَ وَيَسْتَمِيل قُلُوبهمْ ، وَهُوَ الَّذِي يُشَبَّه بِالسِّحْرِ إِذَا خَلَبَ الْقَلْب وَغَلَبَ عَلَى النَّفْس حَتَّى يُحَوِّل الشَّيْء عَنْ حَقِيقَته وَيَصْرِفهُ عَنْ جِهَته ، فَيَلُوح لِلنَّاظِرِ فِي مَعْرِض غَيْره . وَهَذَا إِذَا صُرِفَ إِلَى الْحَقّ يُمْدَح ، وَإِذَا صُرِفَ إِلَى الْبَاطِل يُذَمّ .

فالبيان كالسحر قال أبو حاتم البستي : " قد شبَّه النبي صلي الله عليه وسلم في هذا الخبر البيان بالسحر ، إذ الساحر يستميل قلب الناظر إليه بسحره وشعوذته ، والفصيح الذرب اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه ، فالأنفس تكون إليه تائقة ، والأعين إليه رامقة[2] " وسبب الحديث كما ذكر العلماء الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم ، الذين جلسوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففخر الزبرقان فقال : يا رسول الله ، أنا سيد بني تميم والمطاع فيهم والمجاب ، أمنعهم من الظلم وآخذ منهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك – يعني عمرو بن الأهتم – ، فقال عمرو : إنه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أذنيه . فقال الزبرقان والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال ، وما

---

(١) أخرجه أحمد برقم ٢٨١٣، وأبو داود برقم ٥٠١٣ ،وأصله في الصحيحين، البخاري برقم ٥١٤٦، ومسلم برقم ٢٠٤٦.

(٢) ينظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ،٢٢٩، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت

منعه أن يتكلم إلا الحسد ، فقال عمرو : أنا أحسدك ؟ والله يا رسول الله إنه لئيم الخال ، حديث المال ، أحمق الوالد ، مضيع في العشيرة . والله يا رسول الله لقد صدقت في الأولى وما كذبت في الآخرة ، ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت ، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن من البيان سحرا. (١)

فالرجل واحد لكنه وصف بوصفين مختلفين ونعت بنعتين متباينين ، كما نراه مع الشاعرين سبب الدراسة فكل شئ بحسب العين التي ننظر إليه بها ! قال الإمام الشافعي:

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلة وَلَكِنَّ عَينَ السُّخْطِ تُبْدي المَسَاوِيَا

فالمرء عندما ينظر بعين الرضا لا يري عيبا فيمن يحبه !!، وعندما ينظر بعين السخط لا يري ميزة فيمن يكرهه ،وهذا حال الناس في كل زمان ومكان!!.

وقد ذكر ابن الرومي فعل البيان في الناس وأنه يحسّن الشئ القبيح في أعين الناس فيرونه حسنا!، ويقبّح الشئ الحسن في أعين الناس فيرونه قبيحا فهو السحر – كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم – ويضع مثالا يقرب الصورة للأذهان ، فهو كعسل النحل من يحبه يراه مجاج نحل ولعابه، والنحل له في النفوس وقعا حسنا ، ومن يكره عسل النحل يراه قيئ ذباب!!،والنحل نوع من الذباب!، فالشئ واحد والوصف اختلف!، وهذا جاء من فعل البيان وكلام الشعراء :

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٧ / ٣٣٨، ط : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، وقد ذكرت هذه القصة في كتاب : قصص العرب :لمحمد أحمد جاد المولي وأخرين :٢/ ٢٠٥

فِي زُخْرُفِ الْقَوْلِ تَزْيِينٌ لِبَاطِلِهِ وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ
تَقُولُ: هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ ذَمَمْتَ تَقُلْ: قَيْءُ الزَّنَابِيرِ
مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا حُسْنُ الْبَيَانِ يُرِي الظَّلْمَاءَ كَالنُّورِ

المطلب الرابع

قوة الشكل العمودي واستيعابه لكل المعاني والأغراض

تبين من خلال البحث ودراسة هاتين القصيدتين، أن الشكل العمودي للقصيدة، يستطيع صاحب الموهبة الصادقة أن يصوغ فيه كل المعاني ويتحدث في كل غرض، وفي الوقت نفسه يظل شعره قويا جزلا لا يضعف ، ولم يصادر الشكل العمودي الأفكار، ولم يحجب العواطف.

وهذا أكبر إثبات علي هزلية وعبثية الدعوات الحداثية الهدامة، وهي لم ولن تنال من قامة المبدعين المستمسكين بالأصالة الفنية والفكرية، بشرط وجود الموهبة الحقيقية والملكة الشعرية مع التمكن من اللغة واتساع الثقافة وكثرة المطالعة والقراءة والمعرفة الدقيقة بالموضوع الذي يريد الحديث عنه كما رأينا في شاعرينا الذين توفرت فيهما الشروط السابقة وعاينا ما أرادا الحديث عنه ووصفه ،وصارا بهذا أكبر شاهدين علي قوة الشعر العمودي .

وهذا يجعلنا نؤيد ونتفق مع الأستاذ العلامة عباس محمود العقاد، حين واجه الحداثيين الهدامين الثائرين على المألوف بقوله " فإن لم يكن نقص الملكة الفنية سبب العجز عن أوزان الشعر العربي ، والدعوة إلى إبطال هذه الأوزان، فهو إذن عمل من أعمال الهدم الصراح ، عن سوء نية وخبث طوية ، يتعمده المجاهرون به لتقويض معالم اللغة ومحو آثار الأدب، وفصم العلاقة الفكرية بين روائع الثقافة العربية في مختلف العصور، وتلك شنشنة نعهدها في العصر الحاضر، من دعاة الهدم

المستترين وراء كلمات التقدم والتجديد . وأين يعمل هؤلاء عملهم الهادم إن لم يكن هذا عملهم المقصود من وراء الستار ؟ . إن هدم الفن الجميل الذي امتازت به لغة العرب بين لغات العالم، لا يصدر إلا عن عجز أو إصرار على الهدم ... ولا خير في دعوة يتولاها العجز العقيم والضغينة النكراء" [1].

(١) اللغة الشاعرة ص ٣٢ .

خاتمة

وبعد فهذه دراسة تحليلية موازنة لقصيدتين عن الصعيد لشاعرين كبيرين بوجهة نظر مختلفة تماما ، وبعد هذه التطوافة القصيرة مع القصيدتين نقول :إن البحث قد توصل إلى جملة من النتائج التي يمكن إجمالها فيم يأتي:

– الشاعرية القوية للأستاذ حفني ناصف ،والتي تحتاج إلي دراسة متأنية .

– قصيدة ناصف هذه تعد كانت سببا لإحياء فن النقائض في خمسينيات القرن الماضي.

– الكنوز المدفونة في جامعة الأزهر ، ومنهم الدكتور محمد رجب البيومي ، والجوانب الكثيرة التي ينبغي أن يبحث فيها وعنها عندهم.

– هناك وجوه حسنة في الصعيد يمكن النظر إليها والتمتع بها.

– قوة الشعر التي تصل إلي حد السحر، فهي تستطيع وصف الشئ الواحد بصورة جميلة محببة أو قبيحة منفرة!.

– البيئة المكانية لها أعظم الأثر في الأدب والأدباء .

– الشكل العمودي للشعر يستوعب كل المعاني ، ويستطيع صاحب الموهبة أن يتكلم في أي غرض.

أهم المراجع

- أدب السياسة في العصر الأموي ، محمد أحمد الحوفي، ط.دار مكتبة نهضة مصر بالفجالة (الطبعة الخامسة) ١٩٧٩م .
- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ،(الخامسة عشر)٢٠٠٢م.
- تاريخ النقائض ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ،(الثانية) ١٩٥٤م.
- التذكرة الفخرية ، لبهاء الدين الإربلي ،تح: د.حاتم صالح الضامن ، ط. دار البشاير (الأولي)١٤٢٥هـ ،٢٠٠٤م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ،تح : محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
- جماليات المكان وبناؤه في الشعر العربي الحديث في اليمن(١٩٤٠ :٢٠٠٠م)، ياسر فضل صالح عبد الكريم العامري، إصدار:المركز الوطني للمعلومات، اليمن.
- جماليات المكان في ديوان(الزمن الأخضر) لأبي القاسم سعد الله، بنزيتر ابن علي، جامعة بلعباس، الجزائر.
- حفني ناصف: بطولة في مختلف الميادين ، محمود غنيم، ط.المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.
- ديوان حفني ناصف ، جمعه : مجد الدين حفني ناصف، وقدم له: طه حسين ، دار المعارف بمصر (الأولي) ١٩٥٧.
- ديوان : حنين الليالي ،د.محمد رجب البيومي ،مطبعة السعادة ،(الأولي) ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.
- ديوان الراعي النميري ،شرح واضح الصمد ، دار الجيل بيروت (الأولي) ١٤١٦هـ ن١٩٩٥م.

- ديوان جرير ،جرير بن عطية الخطفي ، دار بيروت للطباعة والنشر ،١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت.
- شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد الحسن السكري ،حققه عبد الستار فراج ، مكتبة دار العروبة.
- الشرق فى فجر اليقظة،أنور الجندي ، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ت) .
- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، عباس العقاد، ط. نهضة مصر ١٩٦٣م.
- الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه (١٨٧٥-١٩٤٠) أنور الجندي مطبعة الرسالة (د.ت).
- شعراء كلية اللغة العربية واتجاهاتهم الأدبية ، د. علي علي صبح ، ص :٥٧٧ كلية اللغة العربية بالقاهرة وثمانون عامًا في خدمة اللغة العربية وحمايتها ، الندوة العلمية الأولى بمناسبة اليوم العالمي للاحتفال باللغة العربية الثلاثاء ١٨ / ١٢ / ٢٠١٢م.
- صحيح مسلم ، مسلم بن حجاج ،تح: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة ،(١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، تح: محمود محمد شاكر، ط. دار المدني.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ط : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

- قصص العرب محمد أحمد جاد المولي ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي ،(١٣٨١ – ١٩٦٢).
- لسان العرب ، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي بيروت،(الثالثة) ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م.
- اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ،دار الكتاب العربي ،١٤٠٢هـ،١٩٨٢م.
- محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار،ابن عربي الصوفي ، دار اليقظة العربية ،١٣٨٨هـ ،١٩٦٨م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل ،تح: أحمد معبد عبد الكريم جمعية المكنز الإسلامي – دار المنهاج ،(١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م) .
- نقائض جرير والفرزدق، دراسة أدبية تاريخية ، مطبعة دار المعرفة بغداد (الأولي) ١٩٥٤م.

دوريات:

- مجلة الثقافة ، العدد ٧١٠ ، بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٢م
- مجلة ألف، الصادرة عن الجامعة الأمريكية بالقاهرة، العدد السادس ، بحث بعنوان: مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان ، ترجمة:سيزا قاسم
- مجلة علامات ج٥٢،م١٣، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، شعرية المكان والزمان، حافظ محمد جمال الدين ،٢٠٠٤.

- الإصدار المتضمن أبحاث الندوة الأدبية (الرواية بوصفها الأكثر حضوراً") نادي القصيم الأدبي، ط١، المكان في الرواية السعودية.. رؤى ونماذج"، محمد الدبيسي.